

البرمجة اللغوية العصبية والعلم

د. محمد التكريتي

شركة ألفا البريطانية للتدريب والاستشارات

ورقة مقدمة إلى مؤتمر

البرمجة اللغوية العصبية: ما لها وما عليها

البحرين

14 - 15 تموز (يوليو) 2007

البرمجة اللغوية العصبية والعلم

مقدمة

أثارت البرمجة اللغوية العصبية إعجاب الآلاف من خلال نجاحها والنتائج التي حققتها في مجالات عديدة، كتحسين التفاهم والتواصل بين الناس، واتخاذ القرارات، وإدارة الوقت، ومهارات العرض، والتفاوض، والمبيعات والتسويق، وبناء فرق العمل وغير ذلك. وقد اعتبرت مجلة ساينس دايجست Science Digest أن البرمجة اللغوية العصبية "أهم مركب معرفي لمهارات التواصل ظهر منذ الستينات".

تُدرس البرمجة اللغوية العصبية وتُمارَس في جميع أنحاء العالم، حتى أن وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" بدأت باستخدامها. فقد نشرت مجلة إن إل بي كومبريهينسف NLP Comprehensive مقابلة مع الدكتورة أليнка براون فانهورز، مديرة التقنيات المعرفية المتقدمة، بعنوان: "ناسا تطلق (مركباتها الفضائية) مستخدمة البرمجة اللغوية العصبية". يقول إل وادلي (الذي أجرى المقابلة) بأن الدكتورة أليнка نقلت البرمجة اللغوية العصبية إلى الفضاء الخارجي ... حيث استخدمت البرمجة لتطوير ما أسمته "تقنية تكامل المنظومة الإنسانية المتكيفة" في تطبيقات كثيرة منها: الفضاء الخارجي، الخرائط الذهنية، التعرف على السلوك، نمذجة التعلم واستراتيجيات صنع القرار وغير ذلك".

ولكن، بالرغم من هذا النجاح للبرمجة اللغوية العصبية فقد واجهت انتقادات كبيرة من كثير من الباحثين وعلماء النفس والكتاب.

مما لا شك فيه أن هناك سوء فهم وسوء استعمال للبرمجة اللغوية العصبية. وبالتالي فإن السؤال المهم الآن هو: أين تقف البرمجة اللغوية العصبية؟ وإلى أين تسير؟

إن نقاط القوة في البرمجة اللغوية العصبية هي نقاط الضعف فيها! تعتمد البرمجة اللغوية العصبية على "الخبرة الذاتية" للإنسان، وتتبع منهاجاً نفعياً براغماتياً. بكلمة أخرى: هناك مسافة تفصل البرمجة اللغوية العصبية عن العلم مما يجعلها حقلاً هشاً من حقول المعرفة، وبالتالي فإن هناك تساؤلات عن مصداقية البرمجة اللغوية العصبية. من جهة أخرى، إذا اعتمدت البرمجة اللغوية العصبية "المنهج العلمي" فإنها ستفقد قوتها وبريقها.

يبدو مما سبق أن المخرج الوحيد للبرمجة اللغوية العصبية هو اعتبارها فنا وليس علماً. إن من البيان لسحراً، وقد يكون في البرمجة سحراً أساسه أنها فن وليس علم.

ترتبط البرمجة اللغوية العصبية بكثير من العلوم والمعارف، فهي تأخذ من علم الأعصاب، وعلم النفس، وعلم اللغة واللسانيات، ونظرية النظم. تأخذ البرمجة هذه المبادئ والنظريات والنماذج والأساليب، وتطبقها، بطريقة ذكية في الواقع. وهكذا تتأى البرمجة عن أن تكون مجالاً للبحث العلمي، ولكنها تطبق نتائج الأبحاث العلمية في مجالات عديدة.

تعتبر موسوعة "ويكيبيديا" أن البرمجة اللغوية العصبية تندرج تحت العنوان العريض لعلم النفس، وبدرجة أقرب "علم النفس المعرفي". وتضيف الموسوعة: "بأن المبدأ الأساس في البرمجة اللغوية العصبية ليس هو اكتشاف ما هو حقيقي بل ما هو مفيد".

يستعرض القسم الأول من هذه الورقة النقد الموجه لموضوع البرمجة اللغوية العصبية من المحافل والدوائر العلمية. ويوضح القسم الثاني أن البرمجة هي حقا فن وليست علماً.

1- نقد البرمجة اللغوية العصبية

هناك كم كبير من الكتابات حول البرمجة اللغوية العصبية. وعند استعراض هذه الكتابات نجد نتائج وآراء متعارضة لمنهج البرمجة وطرقها. وقد قام الدكتور دانيال كامر ومساعدوه في جامعة بيلفيلد في ألمانيا بتجميع المعلومات والبحوث المتعلقة بالبرمجة اللغوية العصبية، وأنشأ قاعدة بيانات لهذا الأمر تم نشرها من قبل الدكتور فرانس جوزف هوكر في برلين في ألمانيا، في شهر كانون الأول (ديسمبر) 1997. احتوت قاعدة المعلومات للدكتور كامر على 180 بحثاً أكاديمياً مركزاً على موضوع البرمجة اللغوية العصبية⁽¹⁾.

كما تم نشر نتائج الأبحاث في هذا المجال في عدد من الدوريات والمجلات العلمية وأوراق البحث، ومنها مجلة الاستشارات النفسية، والمجلة البريطانية لعلم النفس السريري، والمجلة الدولية للتوهم الإيحائي، والمجلة الأمريكية لإتحاد الاستشاريين للصحة العقلية.

من ذلك ما نشرته مجلة التدريب البريطانية مقالاً مثيراً بقلم غاري بلات⁽²⁾ ينتقد فيه بشدة البرمجة اللغوية العصبية، حيث يذكر النتائج التالية:

الموضوع	عدد الدراسات	عدم وجود نتائج	النسبة
لحن الخطاب	32	21	66%
النظام التمثيلي	36	29	81%
إشارات الوصول العينية	35	27	77%
علاج الخوف الوهمي (الفوبيا)	9	4	44%

يقول روبرت تود كارول⁽³⁾:

"يبدو أن البرمجة اللغوية العصبية تقدم نماذج لا يمكن التحقق منها، وتستنبط منها طرائق وأساليب لا تمت بصلة لتلك النماذج. تدعي البرمجة اللغوية العصبية أموراً حول التفكير والتصور، ولكن يبدو أن هذا الادعاء غير مدعوم من قبل علم الأعصاب، فضلاً عن أن تقنياتها لا تعمل. ربما تعمل هذه التقنيات أو تعمل بشكل جيد، ولكن لا توجد طريقة تبيّن أن الأساس الذي تدعيه هو صحيح. ربما ليس لهذا الأمر أهمية حيث تقول البرمجة اللغوية العصبية أن منهجها نفعي (براغماتي) وأن المهم هو النتائج. ولكن كيف يمكن قياس هذه النتائج أو التحقق منها؟ لا أعلم ولا أظن أن أصحاب البرمجة يعلمون. لسوء الحظ فإن هذا القياس يكشف عن قدرة المدربين على تعليم زبائنهم كيفية إقناع الآخرين للتسجيل في مزيد من الدورات التدريبية.

ونشر ديLAN مورغان مقالاً بعنوان "التقييم العلمي للبرمجة اللغوية العصبية"، في مجلة دليل المجلس الوطني للمعالجين النفسيين في ربيع 1993، أشار فيه إلى أن الدكتور هيب، كبير علماء النفس السريري لدى الهيئة الصحية في شفيلد والمحاضر بجامعة شفيلد، كان قد أجرى دراسة متأنية للبحوث المتعلقة بدعوى البرمجة اللغوية العصبية مستنداً إلى 70 بحثاً⁽⁴⁾.

وبالرغم من أن النتائج كانت متباينة فإن دعوى أن الكلمات السمعية والصورية والحسية (لحن الخطاب) تعبر عن النظام التمثيلي، لم تثبت عند أكثر الباحثين. كذلك دعوى أن النظام التمثيلي تحدده حركة العينين (إشارات الوصول العينية) لم تثبت تلك البحوث.

والدعوى الثالثة التي تقول أنه بالإمكان تحسين العلاقة بين شخصين عن طريق تطابق النظام التمثيلي لهما (تحقيق الألفة)، لم تثبت كذلك. كما لا يوجد دليل على أن التركيز على النمط المفضل يضيف أي شيء إلى ما هو معروف من أن تطابق الكلمات أو السلوك يقوي الألفة. بل على العكس من ذلك، حيث وجد الباحث كودي بأن المعالجين الذين يقومون بمطابقة كلماتهم لكلمات مراجعهم كانوا أقل ثقة وأقل تأثيراً!

وقد توصل الدكتور هيب إلى أنه مقتنع "بأن تأكيد أصحاب البرمجة اللغوية العصبية على النظام التمثيلي قد تم تحييصه بموضوعية ووجد بأنه يفتقر إلى الصحة. هذا التأكيد الذي دأب على ترديده بقوة مؤسسو البرمجة اللغوية العصبية. كما أنهم يؤكدون في كتاباتهم أن ظواهر مثل النظام التمثيلي، وتفضيلات لحن الخطاب، وإشارات الوصول العينية، هي عمليات فعالة يمكن استخدامها من قبل المدربين والمتدربين وغيرهم.

ويستمر الدكتور هيب حيث يقول: "وعليه، وبغياب أي دليل موضوعي يؤيد دعوى النظام التمثيلي، وفشل البحوث التجريبية في إثبات ذلك الإدعاء، فإنه يمكن القول أنه لا يوجد ولم يوجد أبداً أي دليل على الإنسان يعبر عن عالمه الداخلي بنمط مفضل معين يمكن استنباطه من خلال كلامه أو حركات عينيه."

ويختتم الدكتور هيب كلامه بقوله: "لو ثبت أن الأمر كما يدعون، فليس هناك أكثر سعادة مني." ويتساءل الدكتور كلتون رودز أستاذ علم النفس في جامعة سوث كاليفورنيا قائلاً: "أتساءل في بعض الأحيان عن البرمجة اللغوية العصبية حيث تعبر عن كيفية الإقناع. وقد التقيت بالبعض ممن يعتقدون بأن البرمجة فعالة جداً والبعض الآخر الذين لا يعتقدون بهذا الادعاء⁽⁵⁾.

ويضيف الدكتور رودز: "علم النفس الاجتماعي هو علم، حيث يعتمد على طريقة البحث نصف التجريبي، وهي طريقة علمية، ويعتمد كذلك على التحليل الإحصائي للتعرف على طبيعة الإنسان. وهذا الحقل من المعرفة (أي علم النفس الاجتماعي) هو فرع متفق عليه بأنه فرع من فروع علم النفس يدرس في أغلب الجامعات، وأكثر المشتغلين فيه يحملون شهادة الدكتوراه... أما البرمجة اللغوية العصبية فمنهجها بدعي فلسفي، تستعير بكثرة أساليب العلاج النفسي... وقد أخبرني عدد من المشتغلين بالبرمجة اللغوية العصبية بأنه ليس المقصود هو اختبار نظرية البرمجة في المختبرات". ويضيف الدكتور رودز: "بأنني لا أفهم تلك العبارة، وبما أنني عالم فأنتي أعتقد بأنه يجب اختبار تلك النظريات".

وقد قام الدكتور رودز، عام 1997، بمراجعة البحوث المتعلقة بالبرمجة اللغوية العصبية واستنتج: "بأنه بالرغم من ادعاء البرمجة اللغوية العصبية بأنها تعتمد على علم الأعصاب، فإن نظريتها إلى العلاقة بين النمط المعرفي ووظيفة الدماغ تؤول في النهاية إلى التناظر بينهما. وبالرغم من عبارات الإطراء للبرمجة فإن مجلس البحث الوطني لم يصل إلى أي دليل قوي لصالحها، أو حتى تعبير عن نظريتها⁽⁶⁾."

مقتطفات من أبحاث بعض العلماء حول البرمجة اللغوية العصبية

الدكتور باديلي:

"... لم تكن نظرية البرمجة اللغوية العصبية محكمة، فمصطلحاتها ودعواها غامضة أو تفتقر إلى الدقة. السبب الأساس في ضعف النظرية هو استعارتها من نظريات أخرى متعارضة... ويمكن الاستنتاج، من استعراض كثير من الأبحاث، هو أنها لم تطور وأنها غير متماسكة، وأنه ليس في أساليبها من جديد⁽⁷⁾."

ديكسون وآخرون:

ويذكر الدكتور باديلي دراسة تقارن تقنيات البرمجة اللغوية العصبية، كالمجاعة واللغة الرمزية و لحن الخطاب، بتقنيتين أخريين بسيطتين لشروط التحكم: شروط المعلومات المباشرة وشروط معلومات البلاسيبو. يقول وجدت الدراسة أنه ليس هناك اختلافات في المواقف في شروط البرمجة، ولكن أظهرت شروط التحكم للمعلومات المباشرة قدرة على الإقناع بالمقاييس السلوكية، حيث كانت النتيجة عكس ما يتوقعه ممارسو البرمجة اللغوية العصبية⁽⁸⁾."

فرومي ودانيال:

"وجد هناك معامل ارتباط كبير (نحو 0.7) بين الأداء وبين أنماط الحواس المختلفة، وربما كانت هذه النتيجة غير متوقعة من قبل البرمجة اللغوية العصبية⁽⁹⁾".
شاربلي:

"لقد فشل إثبات الأساس الذي تعتمد عليه البرمجة اللغوية العصبية في 86% من الحالات ... ربما يغتفر للباحث في البرمجة إذا قبل استنتاج إيتش (1985) بأن "إنجازات البرمجة اللغوية العصبية ليست إلا وجها من وجوه علم النفس"⁽¹⁰⁾".

الأبحاث التي تدافع عن البرمجة اللغوية العصبية

يشعر كثير من الباحثين أن النظام التمثيلي المفضل (سمعي، بصوري، أو حسي) لا يمكن اختباره باستخدام تقنيات البرمجة اللغوية العصبية. بل أن من هؤلاء الباحثين من يشك في وجود النظام التمثيلي نفسه. من ناحية أخرى يدافع مؤسسو البرمجة اللغوية العصبية عن ذلك بقولهم أن تقنيات البرمجة لا يمكن اختبارها بطرق الاختبار التقليدي.

يذكر اينسروتش وآخرون⁽¹¹⁾ أن تقرير الدكتور شاربلي (1984) لم يأخذ بنظر الاعتبار عددا من الأخطاء المنهجية. فقد ذكر ستة أنواع من الأخطاء التي صاحبت الدراسات التجريبية (39 دراسة)، وهي: (أ) عدم فهم فكرة تحديد الأنماط وعدم الدقة في التحكم في السياق. (ب) عدم المعرفة بالبرمجة اللغوية العصبية كطريقة للعلاج. (ج) عدم المعرفة بنموذج اللغة العالية. (د) الفشل في معرفة دور الترابط بين المثير والاستجابة. (هـ) افتقار الباحثين للتدريب، وتعريف الألف، (و) أخطاء منطقية.

كما قام روبرت نوريس بدراسة للتعرف على الأبحاث في مجال التطبيقات في الحياة العملية وفعالية أولئك الذين تدربوا في دورات البرمجة اللغوية العصبية، وفيما إذا كانت تقنيات البرمجة أداة فعالة في الاتصال. أشارت نتائج الدراسة إلى أن فائدة البرمجة اللغوية العصبية وفعاليتها يدركها من تدرب في دورات البرمجة⁽¹²⁾. كما وجد الباحث أن التدريب في البرمجة اللغوية العصبية كان مفيدا وفعالاً. وقد تم التوصل إلى هذه النتيجة بعد أن تبين أن متوسط العلامات للأسئلة كان 4.03 حسب مقياس ليكرت. كذلك استنتجت آن ديتريتش، الباحثة في جامعة بريتيش كولومبيا، أن فصل النمط الحسي عن النمط الصوري V/KD كان علاجاً واعداً لبعض الحالات المرضية⁽¹³⁾.

2 - البرمجة اللغوية العصبية والعلم

ما هي البرمجة اللغوية العصبية؟

تعرف موسوعة "ويكيبيديا" البرمجة اللغوية العصبية بأنها: "طريقة نصف تجريبية لنمذجة التفوق الإنساني. إنها تهتم بكيفية ما نقوم به، وكيفية ما يقوم به الأشخاص الناجحون. الغرض من ذلك إمكان نقل (أو تقليد) تلك المهارات".

يعرف ريتشارد باندرل البرمجة بأنها "دراسة بُنية الخبرة الذاتية"⁽¹⁴⁾. "أما روبرت دلتز فيعتبر البرمجة "علم السلوك الذي يزودنا بـ: (1) نظرية ومنظومة للمعرفة والقيم، (2) طريقة لتطبيق المعرفة والقيم، (3) تقنية أو أدوات تساعد على تطبيق المعرفة والقيم". ويضيف دلتز بأن غرض البرمجة هو "تركيب عدد من النظريات والنماذج العلمية"⁽¹⁵⁾.

ويشبه جوزيف أوكونر البرمجة اللغوية العصبية "بالجمل الثامن عشر الذي جاء به رجل حكيم استطاع أن يحل به مشكلة بشكل سريع ليختفي بعد ذلك كأنه لم يكن هناك"⁽¹⁶⁾.

ويذكر بوب بودنهايمر أن مجلة علم النفس نشرت مقالا حول البرمجة بعنوان "الناس الذين يقرأون الناس" اعتبرت فيه أن البرمجة اللغوية العصبية هي حقل جديد يندرج تحت عنوان علم النفس السلوكي – المعرفي⁽¹⁷⁾.

ولعل أفضل من عرّف البرمجة اللغوية العصبية هي تشارلوت برييتو ميلينر حيث تقول: "البرمجة هي نظام ... لا تلتزم بنظرية، ولكنها تعتبر نموذجاً - مجموعة خطوات وإجراءات تكمن قيمتها في أنها ذات فائدة ... التعبير "نموذج" تم استعماله عن قصد لتمييزه عن النظرية. فالنموذج هو ببساطة وصف لكيفية عمل شيء معين من دون الالتزام بالإجابة عن السؤال: لماذا يعمل ذلك الشيء بتلك الطريقة... مهمة النظرية هي إيجاد تفسير لمطابقة النموذج للواقع الحقيقي." وتضيف ميلينر: "أنها منمنجة، وأن المطلوب هو تقييم العمل كنموذج بغض النظر عن كونه صادقاً أو مزيفاً، صحيحاً أو خطأ، ممتعاً أو غير ممتع. كل ذلك لأجل الحصول على نتيجة بأن النموذج يؤدي عمله، وأنه مفيد⁽¹⁸⁾".

وُجدت البرمجة اللغوية العصبية من قبل رتشارد باندلر وجون غريندر في السبعينات من خلال نمذجة عدد من المعالجين النفسيين الناجحين ومنهم: فريتز بيرل، وفرجينيا ساتير، وملتون إريكسون. تأثر باندلر الذي كان طالباً في جامعة كاليفورنيا، وجرندر الذي كان أستاذاً لللسانيات، بالمفكر البريطاني الأصل غريغوري بيتسون. واستنبط الاثنان طريقتهما من عدد من حقول المعرفة وكتابات بعض المفكرين مثل ألفريد كورزييسكي.

هل أن البرمجة اللغوية العصبية علم؟

يؤكد منتقدو البرمجة اللغوية العصبية بأن أكثر طرقها وأساليبها لم يتم التحقق منها علمياً. بل ذهب البعض إلى القول بأنها ضرب من العلم الزائف Pseudoscience. الحقيقة أن البرمجة اللغوية العصبية لم تلتزم (أو لم تلتزم نفسها) بنظرية مركزية معينة. فممارسة البرمجة يبحثون باستمرار عن نماذج جديدة، أو أنماط، أو أساليب، تكون أكثر فاعلية أو أكثر شمولاً لما هو قائم وموجود من تلك الأنماط والأساليب. فالبرمجة تشجع على إيجاد أفكار جديدة يتم تطبيقها، فإن نجحت تم الأخذ بها، وإن لم تنجح تم استبعادها.

هناك اتفاق على تقسيم العلوم إلى نوعين: العلوم الطبيعية، كالفيزياء والكيمياء، وعلوم إنسانية كعلم الاجتماع والاقتصاد. فأين موقع البرمجة اللغوية العصبية من هذا التصنيف؟

يرى البعض أن للبرمجة اللغوية العصبية من الخصائص ما يجعلها علماً لأنها:

- موضوعية - حيث يمكن لأي شخص أن يتعلمها (أي لا تتأثر بالدارس لها)
- منظمة - حيث أن طريقة جمع الأدلة للأفكار لا تعتمد على الشعور
- يمكن تكرارها - أي يمكن تكرار تطبيقها

يتفق البعض على أن البرمجة اللغوية العصبية تندرج تحت العنوان الواسع لعلم النفس، وتحديدًا علم النفس المعرفي. إذن يكون السؤال الآن: هل أن علم النفس هو علم حقا؟

هل علم النفس هو علم؟

دأب علماء النفس على اعتبار علم النفس علماً (هل يمكنهم أن يقولوا غير ذلك؟).

يقول جون كورسو، وهو عالم نفس ومؤلف، في كتابه "علم النفس التجريبي وسلوك الحواس": "من المتفق عليه أن علم النفس نجح في أن يضع نفسه كعلم من العلوم⁽¹⁹⁾". "... يتم في بعض الأحيان التمييز بين المجالات العلمية بتقسيمها إلى علوم طبيعية وعلوم اجتماعية ... ظاهرة السلوك الإنساني الفردي والجمعي هي موضوعات تندرج تحت العلوم الطبيعية كأى ظاهرة أخرى. وبالتالي فالعلم يتسع ليشمل جميع هذه المجالات⁽²⁰⁾".

ويعتبر كورسو أن ما يميز العلم هو الطريقة التي يتبعها. فالطريقة العلمية عند كورسو تتألف من خمس خطوات، أو مراحل:

- 1 - اختيار مشكلة
- 2 - صياغة فرضية لحل المشكلة

3 - اختبار الفرضية

4 - تحليل نتائج الاختبار

5 - تقييم النتائج وتعميمها

ولكن، بغض النظر عما يقوله علماء النفس، فإن كثيراً من العلماء والمفكرين المتخصصين لا يعتبرون علم النفس علماً. يقول بول لوتوس في مقال بعنوان: "هل أن علم النفس علم؟": "يمكن لعلم النفس أن يدعي هذه الدعاوى العريضة (بكونه علم) وأن يقدم طرقاً علاجية كثيرة مثيرة للتساؤلات، ولكن لا توجد طريقة لدحض ما يدعيه. إذ ليس هناك معيار لنفي الإدعاء. وسبب هذا هو أن علم النفس ليس بعلم، إنما هو منظومة اعتقاد تشبه الدين (21)".

وفي التحليل النهائي فإن الواقع الحالي لعلم النفس هو الجواب عن السؤال في كونه علماً أم لا. لأنه لو كان علم النفس علماً، كما يظن الناس، لكان كثير من تأكيدات القديمة والجديدة قد تم إبطالها أو إثباتها. وبالتالي إما أن يتم تعزيز النظرية علمياً، أو طرحها جانبا إن كانت غير ذلك.

ومن الثابت أن علم النفس والمشتغلين به، بما في ذلك الطب النفسي Psychiatry يواجهون نقداً من قبل الأكاديميين والدوائر الطبية المتخصصة، حيث ينعتون علم النفس بأنه علم زائف، مستدلين ومحتجين بأن نظريات علم النفس وطرقه في تشخيص العلاج لا تصمد أمام الطرق العلمية الصارمة. وأنها غير قابلة للتكرار أو الإعادة.

النقطة الأساس هنا هي: إذا كان علم النفس (بمنهجه وطرقه وأبحاثه) لا يعتبر علماً، فكيف تعتبر البرمجة اللغوية العصبية علماً وهي تقصر عن مناهج علم النفس طرقه وأبحاثه؟

العلم والطرق العلمية

تحاول نظرية المعرفة، أو فلسفة العلم، أن تجيب عن عدد من الأسئلة مثل: هل أن المعرفة موضوعية مستقلة عن الإنسان، أم أنها ذاتية تتعلق بالإنسان؟ كيف نميز بين ما هو علمي وما هو غير علمي؟ ما هي مصادر المعرفة التي يجب، أو يمكن الاعتماد عليها؟ ما هي طرق المعرفة، أو مناهج العلم التي يجب، أو يمكن الأخذ بها؟ لو نظرنا في تاريخ العلم والتطور العلمي لوجدنا أن لكل إنجاز أو تطور علمي منهج وطريقة يعتمد عليها ضمناً أو صراحةً. ومثلما يتطور العلم تتطور مناهجه أيضاً. كان البابليون يعتمدون على الاستقراء Induction. وتميز الإغريق باهتمامهم بمنهج الاستدلال المنطقي Deduction. ونشأ في أوروبا المنهج التجريبي Experimentalism، وهكذا نجد أن طرق العلم ومناهجه تتغير وتتطور. تهتم فلسفة العلوم بهذه الأسئلة وما يتعلق بها.

يوجد اليوم في الغرب نقد عنيف لكثير من المناهج العلمية التي ظهرت فيه منذ الثورة العلمية. مثل المنهج التجريبي Instrumentalist والمنهج الوضعي (الوضعية المنطقية Logical Positivism). والمنهج الاختزالي Reductionism، والمنهج الكلي Holism.

المنهج العلمي الحديث في الغرب الآن متأثر، إلى حد كبير، بأراء الفيلسوف كارل بوبر Karl Popper الذي يؤكد على أن معيار "علمية" النظرية هو النفي وليس الإثبات. أي أن النظرية تكون علمية بقدر ما فيها من إمكان نفيها وليس إثباتها. ويقر بوبر بصلاحيته جميع مصادر المعرفة، ولكن من غير سلطة أو مرجعية. في نظر بوبر لا يوجد مصدر مثالي للمعرفة. وبدلاً من السؤال عن مصدر المعرفة، يجب أن نسأل كيف نستطيع أن نكتشف الخطأ ونصححه؟ (22)

يلخص بوبر نظريته بعدة نقاط هي: لا يوجد مصدر واحد للمعرفة. يجب اعتبار جميع المصادر، باستثناء التاريخ حيث يجب اختبار الحقائق نفسها وليس اختبار المصدر. السؤال هو ليس عن مصدر المعرفة وإنما عن صحة الموضوع عن طريق الاختبار. عند اختبار الموضوع تؤخذ جميع الحجج بنظر الاعتبار. التقاليد (المعرفة المتراكمة) هي أهم مصدر من مصادر المعرفة. المعرفة المتراكمة كلها يجب أن تكون خاضعة للنقد والقبول والرفض. المعرفة لا تبدأ من فراغ، وإنما هي تراكم. ليست الملاحظة ولا التعليل مرجعية نهائية للمعرفة. فالبدئية والخيال هما من مصادر المعرفة أيضاً (عكس الوضعية

المنطقية تماما). وأن الملاحظة والتعليل والبدئية والخيال كلها، هي وظائف تساعد على الحدس والتخمين اللذين هما الوسيلة للوصول إلى المجهول. كل حل لمشكلة يؤدي إلى مشكلة جديدة. وكلما كان الحل أعمق وأشمل كلما كانت المشكلات الناتجة عنه أكبر وأوسع. معرفتنا محدودة وجهلنا غير محدود⁽²³⁾. ويضيف بوبر إنه من الخطأ أن نعلم إلى تبرير أو تعليل مصدر المعرفة. ولكن من الضروري أن لا تكون هناك سلطة تدعي أنها صاحبة الحق في المعرفة دون غيرها.

تميز العلم

كيف نستطيع التمييز بين ما هو علمي وغير علمي؟ يضرب بوبر مثلا بثلاث نظريات تدعي أنها علمية، هي: نظرية ماركس في تفسير التاريخ، ونظرية فرويد في التحليل النفسي، ونظرية أدلر في علم النفس الفردي. ويقارن هذه النظريات الثلاث بنظرية انشتاين في النسبية العامة. فيقول "كنت أشعر بأن هذه النظريات الثلاث هي أقرب إلى الخرافة، أو الأسطورة، منها إلى العلم. هي أقرب إلى التنجيم منها إلى علم الفلك⁽²⁴⁾". يقول بوبر إن السبب في شيوع هذه النظريات الثلاث على أنها علمية، هو اعتماد منهج الإثبات وليس النفي. أي أن أنصار هذه النظريات يقولون بأن الملاحظات تثبت هذه النظريات. فالماركسي لا يكاد يفتح أي صحيفة حتى يجد ما يؤيد (يثبت) نظرية ماركس في تفسير التاريخ. وأنصار نظرية فرويد يثبتون صحة النظرية من ملاحظاتهم للمرضى في العيادات النفسية. وكذلك أنصار نظرية أدلر. يقول بوبر إن الملاحظات والمشاهدات التي (تثبت) النظرية لا تعني شيئا. فكل حادثة أو ظاهرة يمكن أن نقول أنها تثبت النظرية الفلانية. أما نظرية انشتاين في النسبية العامة فصحتها تقوم على توقع ينطوي على المخاطرة في نفي النظرية. فقد توقعت نظرية النسبية العامة انحناء الضوء إذا أتى من مصدر بعيد جدا ومر بقرب جسم ذي كتلة كبيرة، كالشمس. وهذا ما حدث عام 1919 حيث وجد الفلكي البريطاني إدينجتون أن الضوء فعلا ينحني عندما مر بقرب الشمس. فنظرية انشتاين كانت قابلة للنفي والإبطال لو لم يثبت انحناء الضوء. أما نظريات ماركس وفرويد وإدلر فليس لديها القابلية على النفي، وبالتالي فلا يمكن اعتبارها نظريات علمية. الاختبار الحقيقي للنظرية، في نظر بوبر، هو محاولة إبطالها وليس محاولة إثباتها. الإثبات يمكن أن يقبل إذا كان نتيجة لاختبار حقيقي للنظرية. إذن ما يميز النظرية العلمية عن غيرها هو قابليتها للاختبار وقابليتها للنفي والإبطال⁽²⁵⁾. فالتنجيم، مثلا، حسب نظرية بوبر لا يعتبر علما.

الخلاصة

استعرضت هذه الورقة النقد الموجه إلى البرمجة اللغوية العصبية، وأوضحت أن كثيرا من هذا النقد له ما يبرره. كما أوضحت الورقة أن البرمجة اللغوية العصبية بعيدة عن أن تكون علما، وأنه يجب أن ينظر إليها كفن ومهارات ذات تأثير ونتائج مفيدة إذا استخدمت بالطريقة الصحيحة وضمن معايير أخلاقية ومهنية واضحة.

د. محمد التكريتي

حزيران 2007

References

1. Dr. Daniele Kammer and coworkers: *NLP-RDB* at the University of Bielefeld, Germany. Published by Dr. Franz-Josef Hücker, Berlin, Germany December 1997.
2. Garry Platt: "NLP - No longer plausible?" Training Journal, May 2001.
3. Robert Todd Carol, Skeptics Dictionary. Visit (website) <http://skepdic.com>
4. Dylan Morgan: "Scientific Assessment of NLP" in the Journal of the National Council for Psychotherapy & Hypnotherapy Register, Spring 1993.
5. Dr Kelton Rhoads: "What About NLP", 1997. <http://www.workingpsychology.com>
6. Beyerstein, BL. (1990). Brainscams: Neuromythologies of the New Age. International Journal of Mental health, 19 (3), 27-36.
7. Baddeley, M. (1989). Neurolinguistic programming: The academic verdict so far. Australian Journal of Clinical Hypnotherapy and Hypnosis, 10 (2), 73-81.
8. Dixon, PN; Parr GD; Yarbrough D; and Rathael M. (1986). Neurolinguistic Programming as a Persuasive Communication Technique. The Journal of Social Psychology, 126(4), 545-550.
9. Fromme DK & Daniel J (1984). Neurolinguistic Programming Examined. Journal of Counseling Psychology 31 (3) 387-390.
10. Sharpley, C. F. (1987). Research findings on neurolingusitic programming: Nonsupportive data or an untestable theory? Journal of Counseling Psychology, 34 (1), 103-107.
11. Einspruch, Eric L.; Forman, Bruce D.: "Title: Observations concerning research literature on Neurolinguistic Programming.", Journal of Counseling Psychology, 32(4), 589-596, 1985
12. Robert W. Norris: Determining the Effectiveness of Neuro-Linguistic Programming Training for Professionals. Report submitted to Dr. Linda McGrew, Department of Business Education, Marketing Education, and Office Management, Middle Tennessee State University. Published in Advanced Neuro Dynamics website 1997, <http://www.nlp.com>
13. Anne M. Dietrich, A Review of Visual/Kinesthetic Disassociation in the Treatment of Posttraumatic Disorders: Theory, Efficacy and Practice Recommendations, Vancouver, BC, Canada. Tromatology, Volume VI, Issue 2, Article 3 (August, 2000)
14. Richard Bandler: "Using Your Brain for a Change", Real People Press 1985. Bandler Describes NLP as an educational process – teaching people how to use their own brain. P 7
15. Robert Dilts in his book "Modeling With NLP". P 2
16. Joseph O'Connor: "NLP Workbook". P 3
17. Bob G. Bodenhamer and L. Michael Hall: "Figuring Out People", Anglo American Books 1997. p vii
18. Charlotte Bretto Milliner: "A Framework for Excellence", Grinder and Associates, 1988. P 3.
19. John F. Corso: "The Experimental Psychology of Sensory Behavior", Holt Rinehart Winston, 1970. p 24.
20. John F. Corso: "The Experimental Psychology of Sensory Behavior", Holt Rinehart Winston, 1970. p 5
21. Paul Lutus: Is Psychology a Science? <http://vps.arachnoid.com/>, 2003
22. Popper, Karl R.: Conjectures and Refutations, Routledge 1998. P 25.
23. Popper, Karl R.: Conjectures and Refutations, Routledge 1998, P 29 - 27
24. Popper, Karl R.: Conjectures and Refutations, Routledge 1998, P 34
25. Popper, Karl R.: Conjectures and Refutations, Routledge 1998, P 36